في تاريخية التسامح بين الأديان : دور عقيدة التوحيد في تأصيل التسامح والانفتاح على الآخر (العراق أنموذجا)

In the history of tolerance between religions: The role of the doctrine of monotheism in establishing tolerance and openness to others (Iraq is a model)

ا.د. زهير يوسف عليوي
جامعة القادسية
كلية التربية / قسم التاريخ

Prof. Dr. Zuhair Youssef Aliwi
Al-Qadisiyah University
College of Education/Department of History
Zuhair.oleiwi@qu.edu.iq

الملخص :

ان تاريخ الديانات حافل بمظاهر بالتسامح والتفاهم والحوار بين الحضارات منذ القدم ،ومعلوم ان جميع الديانات تستقي مبادئها من معين واحد ولهذا فان كل ديانة من أهم مبادئها هو احترام ثقافة الغير والانفتاح على الآخر ذلك من خلال تقارب الأفكار والرؤى بين كل ديانة عبر مرتكزات أساسية وعقائدية تربط فيما بينها ، كما وان التسامح بمعناه الحقيقي هو الذي يعني الاعتراف الرسمي الحقيقي بحقوق الآخرين الاجتماعية والسياسية ،تعد عقيدة التوحيد واحدة من أهم روابط تقارب الأديان السماوية ، ومن اهم جسور التواصل والأداة المساعدة للانفتاح على الآخر ، علما ان قوام ذلك الانفتاح هو مبدأ التسامح والذي يهدف الى احترام العقائد والديانات وقبول الآخر ، ان هذه العقيدة تمثل العمود الأساس لحياة التسامح والانفتاح على الآخر ، وهي مصدر التعايش السلمي بين الأديان.

هذه الورقة البحثية تلقي الضوء على دور عقيدة التوحيد في ترابط مكونات المجتمع العراقي بكل أطيافه وهي الى اليوم تمثل الشريان المقدس بين الطوائف والاديان والعقائد السماوية

الكلمات المفتاحية :العراق، تسامح ،التوحيد ، عقيدة

Abstract:The history of religions is full of manifestations of tolerance, understanding, and dialogue between civilizations since ancient times, and it is known that all religions derive their principles from a single source. Therefore, one of the most important principles of each religion is respect for the culture of others and openness to the other. This is through the convergence of ideas and visions between each religion through basic and ideological foundations that

connectAmong each other, tolerance in its true sense means true official recognition of the social and political rights of others.
The doctrine of monotheism is one of the most important bonds of convergence between the divine religions, and one of the most important bridges of communication and the auxiliary tool for openness to the other, knowing that the basis of that openness is the principle of tolerance, which aims to respect beliefs and religions and acceptance of the other. This belief represents the main pillar of a life of tolerance and openness to the other.It is the source of peaceful coexistence between religions This research paper sheds light on the role of the doctrine of monotheism in the interdependence of the components of Iraqi society with all its spectrums, and to this day it represents the sacred artery between the heavenly sects, religions and beliefs.
Keywords: Iraq, tolerance, monotheism, belief

المقدمة :

يعد التسامح أهم مبادئ لمفاهيم العقائد والديانات السماوية ، وهو يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الحروب والإقصاء ، على اساس شرعية الآخر المختلف دينيا وسياسيا ، وحرية التعبير عن أرائه وعقيدته ، وفي الوقت هو يمثل الركيزة الاساسية لعقيدة التوحيد بين الاديان السماوية .

لقد شكلت عقيدة التوحيد نموذج التسامح والانفتاح على الاخر بين الديانات السماوية ، وهذا بدوره يمثل خلق من اخلاق الحضارة الاسلامية علما ان تاريخ الاديان شهد الكثير من الكثير من المواقف التي شهدت حروبا بين القوميات المختلفة والاديان كان هدفها تحجيم دور التسامح بين الاديان .

هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على الرؤية المتقاربة بين الديانات السماوية وسبل الانفتاح على الآخر من خلال عقيدة التوحيد ، وقد اخترنا نموذج العراق نظرا لان مبدأ التسامح فية شكل تراثا تاريخيا عبر العصور يحق لنا الاهتمام به

أهمية البحث :

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول دور عقيدة التوحيد في تقارب الاديان في ظل المجتمع العراقي ذلك من خلال ارتباطها بالهدف الواحد وهو عبادة الله الواحد الاحد وتكشف عن كينونة التعايش السلمي بين الاديان ، في المجتمعات ذات الطوائف الدينية المتعددة، كما وتلقي الضوء على دور التسامح بصفته الطريق الموصل الى حرية الاديان رغم اختلافاتها وتعكس هذه الدراسة عن مدى علاقات التسامح بين المسيحيين

والمسلمين عبر تاريخ العراق الطويل ، ويؤكد البحث ان التسامح نسق قيمي واخلاقي وهو المحرك الأساس لحركة المجتمع العراقي.

هدف الدراسة :

تهدف الدراسة الى ابراز دور التسامح واهمية في توفير التعايش السلمي في المجتمع العراقي ، وضرورة قبول الآخر ،ذلك لان التسامح يعني الاعتراف الرسمي الحقيقي بحقوق الآخرين الاجتماعية والسياسية وهذا الاعتراف بالحقوق الا في حالة التسليم لتمتع كافة البشر بحقوق إنسانية متساوية في كل المجالات.

كما ومن الأمور التي تهدف اليها الدراسة التركيز على طبيعة العلاقات بين المسيحية والاسلام في العراق والدور الديني الذي لعبه المكون المسيحي في تاريخ العراق الفكري والاقتصادي وأنماط التعايش السلمي بين كلا الديانتين ، علما ان العراق كان وما يزال مهد الديانات القديمة والية ترجع اصول انتشار الديانات السماوية

مشكلة البحث :

ظهرت الصيحات واضحة عند الغرب حول طبيعة الديانات السائدة ، وقد حاول البعض الساق تهمة التعصب الديني والتميز العنصري والعرقي بين الطوائف الدينية ، وكان الغرض الأساس من ذلك هو تشويه صورة الدين الاسلامي وتصويره بانة دين القتل والدم ، وكانت ادعاءات العديد من المفكرين الغربيين بان مسيحي الشرق كانوا وما يزالون مظطهدين في ظل الدين الاسلامي ، وانهم الى اليوم لم ينعموا بكافة حقوقهم الإنسانية .

لقد عمل الغرب على تغير مفاهيم التسامح وتسويف أهدافه الإنسانية ، وظهرت دعوات غربية مطالبه بحقوق المرأة ، وحرية الديانات ، وحقوق الانسان ، وحرية التعبير والديمقراطية ، لكن من المؤسف قوله ان كل هذه الدعوات غرضها الاول والأساس تحقيق المصالح الغربية في المجتمعات الشرقية ، ولم تكن نابعة من هدف انساني واضح حول تطبيق مفاهيم التسامح والانفتاح على الآخر.

فضلا عما تقدم فان العراق بلد متعدد دينيا ومذهبيا وقوميا ففيه المسلم واليهودي والمسيحي ، وهذا بدوره يبرز التنوع الثقافي والعرقي الذي يولد اختلاف المذهب والعقيده والقومية ، لكن على الرغم مماتقدم الا ان عقيدة التوحيد تبقى هي الشريان الرابط بين كل الطوائف والديانات .

فرضية البحث :

من الامور التي نرى انها ضرورة اساسية في نجاح مشروع التسامح بين الاديان ، ليس فقط في المجتمع العراقي بل في كل المجتمعات هي :

١- ضرورة الاعتراف بالأخر والبحث عن حلول تستوعب التناقضات الدينية والقومية : وهذا يدعونا الى توحيد واحترام حقوق الانسان ، والتاكيد على حرية الديانات ، وحرية ممارسة الطقوس الدينية والشعائر الخاصة بكل طائفة او دين او ملة ، ذلك لان احترام الاديان مطلب ديني وجماهيري لكل مجتمع وهو محور اساسي في تكوين مجتمع متسامح ، كما ومن الامور المهمة التي يجب مراعاتها هي الوقف ضد التعصب الديني بكل اشكاله ونبذ العنف والطائفية التي تعمل تمزيق المجتمع المتماسك.

٢- _نبذ العنف بكل اشكاله والتصدي لكل اشكال التطرف لان التطرف هو السبب المباشر لجميع اشكال العنف الديني

٣- احترام الاقليات الدينة : معلوم ان العراق بحكم تكوينه العرقي والطائفي كان و ما يزال نموذجا رائع يهتدى به في ضرب اروع البطولات والمواقف التي تثبت وقوفه ضد العنف والطائفية التي حاولت تمزيق وحدة مجتمعه ،وهذه المكونات تدعونا نفتح آفاق المستقبل بعلاقات جديده وجيده تميل الى الاحترام

الاطار المنهجي للبحث:

بعد النظر في الموضوع وفي ضوء ما توافر من معلومات عن البحث قسم البحث الى :

المحور الاول : الذي تناول عقيدة التوحيد بين الاديان وهي محاولة لسرد تاريخية الاعتقاد بالاله

المحور الثاني :دور العقيدة في الانفتاح والتسامح مع الآخر

الخاتمة : وهي اهم النتائج التي خلصت بها الدراسة

ثم انتهي البحث بجملة توصيات : وهياراء وافكار تؤسس لاستمرارية الدراسة عن التسامح وعقيدة التوحيد

المحور الاول : عقيدة التوحيد بين الاديان(تاريخية الاعتقاد بالالة) :

تعد عقيدة التوحيد من اقدم العقائد في الديانات القديمة ، وهي ازلية متجذرة في ديانات العرب القديمة ، على ان فكرة التوحيد في الشرق القديم فكرة قديمة برزت منذ تفكير الانسان بالخالق والخلق ، واخذ

الانسان يتدبر امر الكون والكشف عن غوامض الامور ، كما ان الوحدانية هي العقيدة الاولى التي تتجدد وتتطور بارسال الرسل ، ويصيبها الانحراف بضعف العقائد وعدم تشرب الايمان في النفوس .[١]

ومعلوم ان العرب قبل الاسلام شانهم شان بقية الشعوب الاخرى تعبدو الالهة وفكروا في وجود قوى عليا لها عليهم حكم وسلطان ، فحاولوا كما حاول غيرهم التقرب منها واسترضائها بمختلف الوسائل والطرق ووضعوا لها اسماء وصفات وخاطبوها بالسنتهم وبقلوبهم سلكوا في ذلك جملة مسالك هي ما تسمى بالأديان. [٢]

ان الانسان منذ بداياته الاولى كان ينظر الى مسالة الالوهية نظرة توحيدية ، وهذا ما وجد لدى مختلف الشعوب والحضارات القديمة ، اذ أعطت كل امة من الأمملإلهها صفات عامة تشمل خلق السمو ات والارض والسيطرة عليهما وعلى مافيها وما بينهما رغم اختلاف الأسماء التي أطلقتها هذه الامم على الاله[٣] الذي تعبده وتخضع له .[٤]

لقد كانت لفظة الاله من الالفاظ المقدسة التي تشير الى الرب وعبادة الرب ففي معني (الال) يرى العلماء انها تعني الربوبية واسم الله تعالى ، وان كل اسم اخره آل او ايل فمضاف الى الله تعالى ، كما وان لفظة ايل عربت عن العبرانية وهي تعني اسم الله ، وهي من الالفظ العامة التي ترد في اللغات السامية ، ولايعرف معناها على وجه مظبوط ويظن انها تعني القادر ، والعزيز ، والقهار ، والقوي ، والحاكم [٥]، كما وفي المقابل نجد ان الكثير من العلماء يثبتون عقيدة الاله الواحد انها أقدم ديانة عرفها الانسان ، اما عبادة الاوثان ومظاهر الطبيعة ماهي الا أعراض طارئة وأمراض متطفلة أصابت عقول البشرية في حقب كانت

١- كاكهة هي، هدى علي ، الصلات الحضارية بين الفكر المسيحي والفكر الاسلامي ، من القرن الثالث حتى القرن التاسع الميلادي ، بغداد ، دار ومكتبة عدنان ، ط١، ٢٠١٥، ص ٦٠

٢- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٦، ص ٥

٣- يرى الدكتور جواد علي ان فكرة (الله)(الاله) تختلف باختلاف مفاهيم الشعوب ودرجات تقدمها ، فهي عند الشعوب البدائية القديمة والحديثة في شكل يختلف عن مفهومها عند الشعوب المتحضرة ، كذلك اختلفت عند سكنة البوادي عن سكنة الجبال والهضاب ، ويختلف مفهوم فكرة الله عند الشعوب السامية عنها عند الشعوب الآرية لاسباب عديده يذكرها علماء تاريخ الاديان بل يختلف هذا المفهوم في داخل الشعب الواحد ، يختلف فية باختلاف ثقافة الانسان وتقدم مداركه العقلية ، فتصور كل انسان خالقه على قدر عقله ودرجة ثقافته ، صورة وكانه مرآة صافية لنفسه ولدرجة نمو عقله ، ومن هنا قيل ان الانسان يصنع اله بنفسة ، اي يصوره على نحو صرته ومبلغ تفكيره ، ينظر : جواد علي ، المفصل ، ج٦، ص ٢١

٤- كاكهيى، الصلات الحضارية ، ص ٦٠

٥- جواد على ، المفصل ، ج٦، ص ٢٧

كان لها معطيات زمنية ومكانية ، كما وفي الوقت نفسه ان نزعة التدين عند الإنسان جعلته تواقا لمعرفة الحق متعطشا الى الدين الصحيح فالتجأ الى خالقه كي يهدأ به وينير قلبه فكان الله به رحيما فأرسل الية رسله رحمة والكتب فرقانا وبيانا من الهدى ليلبي حاجات الفرد العقلية والنفسية والروحية [١].

لقد كان للناس علاقة وثيقة بالإله ، والمرء يرث هذه العلاقات ويتاثر سلوكه بها باعتباره عضوا في المجتمع ، فلا فرق بين نظام الحياة والدين والاعمال الاجتماعية العامة لها علاقة بالآلة والبشر على السواء ، وهنالك علاقة متبادلة فالاله يحمي القبيلة او المجتمع ويدافع عنه [٢]

ومعلوم ان الدين هو إيمان وعمل ،إيمان بوجود قوى هي فوق طاقة البشر ، لها تأثيرها في حياته وفي مقدراته ، وعمل في اداء طقوس معينة تعين شكلها الأديان للتقرب الى الآلة ولاسترضائها ، اما الإيمان فهو قبل العمل ، فلابد للقيام بالشعائر او باداء العمل من وجود ايمان عند الشخص او الأشخاص بوجود اله او آله حتى يقوم بعمل ديني [٣].

اريد القول من ذلك ان البشرية تبدأ طريقها مهتدية مؤمنه موحده ثم تنحرف وتتغير بجكم المؤثرات البيئية لكل ديانة ، فالعوامل المتشابكة المعقدة في تركيب الإنسان ذاته ، وفي العوالم والعناصر التي يتعامل معها لكن يبقى الهدف السامي والمبادئ الأساسية ، فكل الأديان تقوم على حقيقة واحده وهي وحدانية الله وهذه الوحدانية اشتركت بها الديانات السماوية ، ويتعاقب بها الرسل والأنبياء جميعا على مدار التاريخ ، فكل رسول يأتيإنما تكون رسالته قائمة على مبدأ التوحيد في العبادة للخالق وحده ، ولم نرى في تاريخ الأنبياء والرسل ان هنالك نبي كذب نبي آخر وهذا ما يؤكد ان كل الأنبياء والرسل كانوا يعملون على وحدة العقيدة السماوية على مدار تاريخ البشرية ، وهذا المبدأ يعبر عن حقيقة العقيدة ، ولان غرضها في السياق يصور وحدة العقيدة تصورا حسيا في توحيد أهداف تسامح الديانات السماوية [٤]

١- السعيدي ، طارق خليل ، مقارنة الأديان ،دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية ، اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام، بيروت ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، ط١، ٢٠٠٥، ص١٩

٢ – العلي ، صالح احمد ، (الدكتور) محاضرات في تاريخ العرب ، الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ، ص ص ١٦٦-١٦٧

٣- جواد علي ، المفصل ، ج٦، ص ٢٨

٤ – لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الخالق ، احمد عمار عبد الجليل(الدكتور) علم مقارنة الاديان وأثره في الدعوة الى الله تعالى ، عمان ، دار آمنه للنشر ، ط١، ٢٠١٦، ص ١١

يؤكد الدكتور احمد سوسة ان الكنعانيون العرب هم أول من نطق باسم الله خالق السماوات والأرض ، وكان يعرف باسم (ايل)او الإله او الله في العربية الفصحى ، والمعلوم ان ديانة عرب الجزيرة العربية كانت قائمة على الوثنية ، فلما هاجر سكان الجزيرة العربية الى مناطق الهلال الخصب جاءوا بدياناتهم الى مستوطناتهم الجديدة مع لغتهم وثقافتهم حاملين معهم آلهتهم وأهمهاالإله القمر سين، إذكانت عبادة هذا الاله شائعة في جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريبا جنوبها وشمالها ... وهناك ما يدل على ان بعض القبائل العربية في الحزيرة العربية تمارس التوحيد الذي نادى به ابراهيم الخليل من قبل والذي يرتقي إيمانه الى زمن يسبق عهد موسى واليهود).[1]

يبدو من النص أعلاه ان التوحيد بين الاديان القديمة كان وسليه أساسية في للانفتاح على الاخرين ذلك من خلال الترحال والتنقل في مناطق بادية الجزيرة العربية واطرافها ، وما جوراها في بلاد الشام وغيرها ، كما وان القبائل المنتقلة نقلت بدورها عقائدها الدينية ذلك من خلال الممارسات والطقوس العبادية الخاصة بها ، والذين يبدو الينا ان هذه الوسيلة تمثل الطرق السلمية في انتشار الديانات القديمة ، وهذا بدوره يجعلنا نعتقد ان تلك الأقوام التابعة للديانات المختلفة المنتشرة في العراق والجزيرة وغيرها هي اول من ساهم في مجال الانفتاح على الاخر .

المحور الثاني : دور العقيدة في الانفتاح والتسامح مع الآخر

ان موضوع التسامح مع الآخرين في حقوقهم السياسية والاجتماعية تعد من ضروريات اي مجتمع ، ومن مقومات المجتمع الديني ان يعيش ابناؤه بقناعات دينية وبتحكيم الدين فيشركوا القيم الدينية النهائية والاصيلة في الانشطة السياسية ، على ان المجتمع العراقي يضم فئات مختلفة بأفكار دينية وسياسية متباينة ، وآراء ومعتقدات ومصالح سياسية متفاوتة ، لذلك فان مجتمعنا هو تعددي ، ومن الطبيعي ان يكون التسامح ضرورة اجتماعية يطالب بها الجميع من كل حدب وصوب .

لقد كان اختلاط القبائل او الشعوب يرافقه اختلاط الديانات والمفاهيم الخلقية وطبيعة التعامل والاخذ بالعادات الحسنة وتطبيق واقعها على الرقعة الجغرافية التي تستقر بها ، ومن هنا فان تعدد الثقافات قديما يولد نوع من الانفتاح في القبيلة الواحده اولا وفي المجتمع بشكل عاما ثانيا.

١ – سوسة ، احمد ، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، بغداد ، دائرة العلاقات العامة ، صص ١٨٣-١٨٤

وليس من شك في ان الديانات السماوية تلتقي في احكامها وجوهرها في وحدانية مصدرها الأصل فهي رسالات إلهية موحاة بواسطة الوحي الى نبي اختاره الله تعالى في زمانه وبيئته وقد يكون مبعوثا الى الناس عامة منذ زمنه وحتى مجيء رسالة عامة لاحقة ، كما وتمتاز الديانات السماوية الثلاثة الكبرى باحتفاظها بالكتب الأصلية التي تدين بها وتدعي نسبتها الى الوحي الإلهي ، وهي القران والإنجيل والتوراة ، فإذا كانت هنالك فوارق جوهرية ظاهرة في بعض ما تتضمنه هذه الكتب من المعالم الأساسية للديانة او القضايا التي تدعم انتسابها الى الوحي [١]، فان الفوارق لم تكن يوما سببا رئيسا في الانفتاح بين هذه الديانات والتسامح في المبادئ والأصول لكل دين ، فقد ظلت مبادئ هذه الديانات أمور أساسية لقبول الآخر بهدف التعايش السلمي في المجتمعات الإنسانية.

فضلا عما تقدم ان الديانة السامية من الديانات القديمة في بلاد وادي الرافدين وحتى في الجزيرة العربية وهذه الرقعة الجغرافية تمثل مهد الحضارات السامية [٢]، اما اصول هذه الديانة فليس من السهل معرفة اصولها ، ولكن من خلال الروايات المنقولة يتبين لنا وجود شكل من اشكال التوحيد عند القبائل السامية البدائية يمثل في اعتقاد القبيلة بوجود اله لها واحد اعلى ، غير ان هذا لايعني نفي اعتقادها بتعدد الاله ،فهذه القبائل كانت تعتقد بالارواحكانها كائنات حية ذات اثر وسلطان في مصير هذا الكون وفي ضمنه الإنسانوبآله مساعده للإله الكبير [٣].

لقد تطورت عقائد الديانة السامية مع بقية الافكار والمبادى للديانات الاخرى في الجزيرة العربية وغيرها من المناطق المجاورة ، فضلا عما تقدم فان معلوماتنا عن تاريخ الديانات في العراق تعود بالدرجة الأساس الى وجود أقدم الديانات السماوية فية بدأ من اليهودية فهي أول دين جرد الاله عن الأوثان وظواهر الطبيعة ، وهذا الدين بطبيعته ينتمى الى دين النبي ابراهيم علية السلام ، واليهودية التي اوحت الى أنبياء بني إسرائيل

١ – مقدمة مركز الرسالة لكتاب في مقارنة الاديان ، نظرة سريعة في التوارة والانجيل والقران ، للمؤلف الدكتور صائب عبد ، الحميد ، قم مركز اصدارات الرسالة ، ط١، ١٤٢٥، ص٥

٢– الخفاجي ، سامي (الدكتور)، الساميون والسومريون ، بداية تاريخ وادي الرافدين ، عمان ، دار آمنة للنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠١٧، ص ١٤

٣– جواد علي ، المفصل ،ى ج٦، ص ٢٩

هي ديانة توحيدية غير ان اليهود أنفسهم لم يكونوا في كل عصورهم موحدين ولم يأخذوا بالتوحيد دوما وهذا مثار الالتباس في العقيدة التي يعتنقونها.[١]

يذكر الدكتور احمد شلبي عن ذلك قائلا :(لم يستطع بنو اسرائيل في اي فترة من فترات تاريخهم ان يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الانبياء ، وكان اتجاههم التى التجسيم والتعدد والنفعية واضحا في جميع مراحل تاريخهم ، وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بابراهيم الا ان البدائية الدينية كانت طابعهم ، وتعد كثرت انبيائهم دليلا على تجدد الشرك فيهم ، وبالتالي تجدد الحاجة الى انبياء يجددون الدعوة الى التوحيد ، وكانت هذه الدعوات قليله الجدوى على اية حال ، فظهروا للتاريخ بدائين يعبدون الارواح والاحجار ، واحيانا مقلدين يعبدون معبودات الامم المجاوره التي كانت لها حضارة وفكر قلدها اليهود)[٢].

يبدو من النص اعلاه ان اشكالية الديانة اليهودية كان لها طابع العزلة ، فكان العبرانيون قد غلب علبيهم طابع الانعزالية التي اتسم بها الوافدون الجدد عليها ، فالكنعانيون اختلطوا بالفسطينين ، والساميون الذين هاجروا في مناطق بلاد الشام والجزيرة العربية اختلطوا بالاقوام التي سكنوا معها ، اما العبرانيون فقد عاشوا في عزلة عن بقية الديانات [٣]، على ن طابع العزلة هذا سبب احداث بالغة الخطوره ، فقد نظروا الى سواهم نظرة عداء وحذر ، وبالتالي لم يدينوا الى الوطن الذي يجمعهم بالاخرين ، وانما اتجهوا بولائهم الى جماعاتهم ، فاصبحت هذه الجماعه هي وطنهم ، وهي دينهم ، وهي موضع تقديسهم ، وليس لهم بسواها صلة او ارتباط ، وكان من نتائج ذلك كما يرى البعض كانوا بسبب ذلك اكثر فترات التاريخ محاطين بدائرة من الأمم المعادية التي تمثل حلقة من نار لا تدع لهم فكاكا.[٤]

١- السعدي ، مقارنة الاديان ، ص ٢٩

٢- شلبي ، احمد ، مقارنة الاديان ، اليهودية ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ط١٢، ١٩٩٧،ص١٨٦

٣- يرى الدكتور احمد شلبي ان من اسباب هذه العزلة انهم كانوا يرفضون عبادة الاصنام ، في حين كانت الاصنام هي معبودات الكلدنيين ، ، فاعتزلهم ابراهيم ومن آمن معه ، ولكن اصبحت طابع العبرانيين حتى عندما انحرفوا وعادوا الى عبادة الاصنام ، كانت العزلة طابعهم في ارض كنعان ، وفي مصر بعد ذلك ايضا بسبب ارتباط العبرانيين بالحكام المستعمرين (الهكسوس) ، وبالتالي نظر الشعب اليهم نظرت ريبة فلم يتم الاختلاط بين هؤلاء وأولئك ، ثم ان البون كان شاسعا بين بين العقليتين ينظر : شلبي ، مقارنة الاديان ، ج١، ص ٥٨

٤- شلبي ، المرجع نفسة ، ص ٥٩

لكن هذا لايعني ان سمة الانعزالية بقيت عبر التاريخ ، فعلى مر العصور وخصوصا العصور الحديثة نلاحظ ان الاغلبية الساحقة من يهود العراق كانوا عراقيين محبين لوطنهم ، يشاركون اخوانهم في المواطنة مشاعرهم الوطنية يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم ، معاناتهم واحده وظالمهم واحد ، خاصة في العهد العثماني الطويل الثقيل الذي لم يحمل للعراقيين الا البؤس والتخلف والمعاناة .[١]

والحق اقول ان المجتمع العراقي منذ القدم تتعايش به أديان ومذاهب عديدة متقاربة تارة ومتنافرة تارة اخرى غير ان تقاربها وتنافرها لم يصل الى حد الإلغاء ، سواء كان في الضم او بالهجرة القسرية ، فحافظ الجميع على وجودهم بقدر ما يسمح به التجاور على بقعة جغرافية واحدة [٢]

ازاء ذلك نلاحظ مواقف الانفتاح بين الديانتين المسيحيةوالإسلام والتسامح عبر العصور التاريخية في العراق ، ومعلوم ان الديانة المسيحية في العراق هي قديمة قدم تاريخ العراق ، وقد وجد المسيحيون مع العرب منذ قيام الكلدانيون والاشوريون في القدم ، وفي العصور الاسلامية وقبلها ، حيث تشير المصادر التاريخية الى وجود الآثار والكنائس في بعض المدن العراقية الى القرن الرابع الميلادي ، مما يدفع الى الاعتقاد ان المسيحية في العراق هو تاريخ قديم يرجع في قدمة الى القرون الاولى لظهور المسيحية في العالم [٣]

فضلا عما تقدم فان الدول والممالك الاولى في العراق كالحيرة وغيرها كانت تمثل اساس الدين المسيحي ، ومنذ ذلك الوقت تتمتع الديانة المسيحية بحرية دينية (بغض النظر عن بعض المواقف التي شهدتها عصور الخلافة) وتعايش سلمي مع المسلمين وبقية الطوائف الدينية ، وعلى الرغم من الاضطهاد الذي تعرضوا له عبر العصور وحتى الحقبة العثمانية الا انهم كانوا مثالا للتسامح والتعايش السلمي مع الآخر ذلك لوجود الثوابت الدينية بين الإسلام والمسيحية

ان التسامح في المجتمع العراقي قائم على اساس مساواة الحقوق الدينية لكل الطوائف واحترام كافة الاديان عملا بماجاء ذلك في الكتب السماوية لا اكراه في الدين ، وهنا التسامح المطلوب ان يسمح بتعايش

١- السوداني ، صادق حسن ، مختصر تاريخ يهود العراق (١٩١٤ـ ١٩٥٢) ، بغداد مؤسسة ثائر العصامي ، ط٣، ٢٠١٨، ص٦ ص٦

٢- الخيون ، رشيد ، الأديان والمذاهب بالعراق ، قم ، منشورات لسان الصدق ، ط٢، ٢٠٠٥، ص ٥

٣- سعيد ، كردستان سالم (الدكتورة) اثر التعددية الاثنية على الوحدة الوطنية في العراق ، السليمانية ، ، منشورات مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية ، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٦٩

الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والاقصاء على اساس شرعية الاخر المختلف دينيا وسياسيا وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته .

ومعلوم ان المسيحيون يعيشون في العراق منذ القرن الاول للميلاد ، وكانوا اغلبية سكان البلاد في الماضي ، وهم احدى اقدم الجماعات المسيحية في العالم ، وعلى الرغم من انسحار اعداهم على مر التاريخ الا انهم ساهموا اسهاما واضحا في بناء البلاد ، ففي تاريخ العصر العباسي نلاحظ ان الحركة العلمية بدأت في الترجمة وكانت جل رجال تلك الحركة وروادها من النصارى ذلك لمعرفتهم باللغات الاوربية كاليونانية وغيرها وكانت انجازاتهم قد هزت العالم الاسلامي والغربي على حد سواء كما ان تقدم العلوم في ذلك العصر يرجع بالدرجة الاساس الى اؤلئك الاطباء والمنجمين السريان الذين برعوا في تخصصاتهم وحقول المعرفة المتنوعه لديهم .

لقد كان لهم الدور الاساسي في الانفتاح والتطور الثقافي ، فقد كان هنالك تطابق واضح ومستمر بينهم وبين العرب في العراق وشاركوا في جميع مناحي الحياة وفي الادارة والسياسة وتدبير امور الملك مع اقرانهم المسلمين في سواد العراق ايام الفتوحات الاولى او في حاضرة العباسين بغداد ، وقد اثروا تاثيرا واضحا في الادارية المحلية واصلاح نظم الري والضرائب وتطور النظام الاقتصادي وهذا مؤشر واضحا على حالة الانفتاح والتسامح والتعايش السلمي في تلك الحقب ، كما وفي الوقت نفسة فقد ظلت اللهجات الارامية وسائط حية للتعبير عن الامتزاج اللغوي لقدر معتبر من العصر الاسلامي ، فقد استمرت السريانية كوسيط ادبي مستخدم بكثافة في شمال العراق ، وأثر الشكل المحكي من اللهجات المحلية في اسلوب صياغة اسماء الامكنة في العربية ، فالعديد من الاسماء ذات الاصل الارامي او التي حافظ عليها الاستخدام الآرامي بقيت في تاريخ العراق ، كما ان هذه الاسماء تعكس المشاركة المستمرة للسكان الاراميين مع بقية المكونات .[1]

اما اليوم فالاستمراية في الانجاز العلمي ساهم في توسيع ثقافة العصر والى جاني العلماء المسلمين وانجازاتهم ساهم عدد غير قليل في تطور ثقافة العصر رغبة لارتقاء مستقى العلم في العراق مع بقية الامم الاخرى ، وبرز الكثير من الأسماء اللامعة التي كانت رائدة في مجال شتى وعلينا ان لاننسى الدوري الفكري والرائد لهم مجال تطور الحركة الفكرية في العراق ، اذ بزرت شخصيات عديده أسهمت برفد الحضارة العراقية

١ – موروني، مايكل ج، العراق بعد الفتح الاسلامي ، ترجمة حيدر عبد الواحد راشد ، بغداد ، دار الرافدين ط١، ٢٠١٩، ص ٢١٠وماتلاها

والحفاظ على تراثها كالعلامة انسانس ماري الكرملي ، ورفائيل بطي ، والاب يوسف حبي ، والاب سهيل قاشا ، والاب بطرس حداد (رحمهم الله اجمعين). وغيرهم الذي لامجال لذكرهم .

ان هذه المكونات بكل اشكالها ساهمت في التنوع الثقافي بكافة المجالات العلمية ، وان كتابات اليهود والمسبحين والمسلمين على حد سواء عززت روابط الانتماء للعراق وتعزيز الوحده للنسيج المكون وتشجيع حالة الاندماج والمواطنة لكل الطوائف والمكونات بدون استثناء .

علاوة على ما تقدم فان الانفتاح والتسامح الديني في الاقليات بالعراق ساهم بشكل بارز في التقليل لابل القضاء على سياسة الكراهية والنفور من الآخر هذه السياسة التي تعود جذورها الى تاريخ العرب في العصور الاسلامية . والتي بدورها تهدف تهميش ثقافة الآخر ووجوده ، علما ان هذه السياسة حكرا على دين او جنسية معينة او مجتمع او لغة ، فمثلما هي موجودة في الغرب فهي موجودة لدينا ايضا تتشبث باذيال الجهل وتتمسك بالاتجاهات المتطرفة والمتعصبة التي ترفض الآخر ولاتقبل التعايش معه .[١]

ان العزوف عن الانفتاح على الآخر وغياب الحوار بين القوى والاطراف المختلفه في مجتمعاتنا يعتبر مكمنا اساسيا من مكامن الداء في هذه المجتمعات ومظهرا صارخا من مظاهر التخلف ، وهي في كل مجتمع تشترك عدة عوامل في تكريس هذه الحالة المرضية منها العامل التربوي حيث تزرع العائلة في نفوس اطفالها الحذر من الاختلاط بالاخرين بشكل مبالغ فية وتمارس مع ابنائها اسلوب الامر والرجس دون اعطائهم فرصة للتفكير والنقاش ، كما وتعتمد اغلب مناهج التعليم طريقة التلقين وفرض الرأي الواحد ورفض ماسواهلانه باطل وكفر وشرك وابتداع حسب ما يدعون ،[٢]

كما وان التوجيه الديني في مجتمعاتنا ينتهج في معظمه أسلوب الحدية والتطرف تجاه الآخر ، على ان التطرف بكل أشكاله عبر العصور كان هو السبب وراء ظهور الاختلاف وتهميش دور الآخر ، والحق ان النمط من التوجيه الديني الى مقاطعة الآخر هي من اشد انواع التطرف بكل اشكاله ، وعلى المستوى

١- عبد الحسين شعبان ، المسيحيون ملح العرب ، التغير والمواطنة والتنوع الثقافي ، بيروت ، دار ضفاف ، ط١، ٢٠١٣، ص ١٩

٢- الصفار ، حسن ، الحوار والانفتاح على الآخر ، ص ٦

الاجتماعي تتمايز التكتلات والانتماءات الى حد القطيعة والتنافر ، ويصبح التواصل مع الآخر لونا من الخيانة للجماعه ، وانعدام الولاء ، وميوعة الانتماء لان صديق العدو عدو.[١]

وتعضيدا لذلك يذكر الدكتور علي الوردي قائلا:(فرجال الدين كثيرا ما يتجادلون اذ يريد كل ذي فرقة منهم ان يقنع الآخرين بان فرقته وحدها هي الناجية من بين الفرق الاخرى ، مضت على هذا الاف السنين من غير جدوى انهم لايعلمون بان ماهو حسن في نظر فرقة من الفرق قد لايكون حسنا في نظر الفرقة الاخرى ، وان كل جماعة لها اسلوب في التفكير قد لايستصيغ البراهين التي بها جماعه اخرى، وكثيرا ما يحارب الناس بعضهم بعضا ، ويعتدي بعضهم على بعض وهم مرتاحو الضمير كان ما قاموا به من ظلم تجاه غيرهم ليس الا جهادا في سبيل الله)[٢]

اما على المستوى السياسي فالامر اشد قتامة وتعقيدا في ظل الحكومات الاستبداية ، حيث لامجال للراي الآخر ، ولا فرصة للمعارضة ولاقيمة لمن يخالف او يعارض وانما الحكومات تتعامل مع الكل كمجرم يستحق اقسى العقوبات لشقه عصا الطاعه .[٣]

الخاتمة :

بعد التقصي ومسيرة البحث يمكن ان نخرج بجملة نتائج منها:

ان جميع الديانات السماوية هدفها واحد ولايوجد بها ما يوجب التناحر والتنافر ، كما انها وفي الوقت نفسه تدعوا الى الانفتاح والتسامح مع الآخر وقبول الراي ، يضاف الى ان احترام العقائد السماوية لكل ديانة يعبر عن مدى الإيمان والتقرب الى الله تعالى ، كما ومن النتائج ايضا ان الحوار السلمي يمثل أفضل صورة للتفاهم فهو يدفع الشخص للمراجعه وتوضيح الحق علما ان من اهم سبل البحث الموضوعي عن الحق هو الانفتاح على الرأيالآخر ومحاورته ، ومعلوم ان ان للحوار أكثر من قيمة ودور على العيد المعرفي .

ان المجتمع العراقي بكل اطيافه مجتمع قابل للانفتاح ، فقد شهد تاريخه الطويل عبر الحقب ان غالبية المكونات الدينية له عملت سويتا من اجل وحدة الصف الواحد كما ومن خلال اثاره فان اللغات واللهجات والاعمال الادارية ان كل مكوناته كانت تعمل على مبدأ التسامح واحترام الاخر ، ولنا ان نقول ايضا ان

١- الصفار ، المرجع نفسة ، ص٦

٢- شخصية الفرد العراقي ، بغداد ، دار الوراق ، ط٢، ٢٠٠٩، ص ٤٠

٣- الصفار ، المرجع نفسة ، ص ٧

محالات الصراع والتصادم بين الأديان والمذاهب في العراق عبر تاريخه الطويل تكسف بانها ضعيفة الأسس وغير قوية ذلك كونها تظهر لاغراض لم تكن دينية بالدرجة الأساس ، فهي تنتهي بنهاية الهدف الذي ظهرت من أجلة ، وهذا تأكيد واضح على وحدة المكون الديني في العراق

التوصيات : توصي الدراسة بجملة نتائج منها :

١- ان التسامح ضرورة حياتية لكل مجتمع انساني ، وهي حاجة اساشية للعيش بسلام ومن هنا ندعو ان يكون التسامح سلاحنا ضد العنف والإقصاء والتكفير

٢- ان قبول الأخر بكل أشكاله يمثل أفضل السلوك الإنسانيوهو يؤسس للتعايش السلمي والتحضر والالتحاق بركب التطور الحضاري للإنسانية بشكل عام فالالتزام بهذا السلوك حافز للسلام المجتمعي

٣- الدعوة الى عقد المؤتمرات والندوات التي تعمل على تعزيز روح الوحدة الدينية في العراق ونبذ روح التطرف والعصبية التي لاتهدف الا للدمار والتفرقة بين أطياف المجتمع العراقي .

قائمة المصادر والمراجع :

١- الخفاجي ، سامي (الدكتور)، الساميون والسومريون ، بداية تاريخ وادي الرافدين ، عمان ، دار آمنة للنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠١٧.

٢- الخيون ، رشيد ، الاديان والمذاهب بالعراق ، قم ، منشورات لسان الصدق ، ط٢، ٢٠٠٥.

٣- سعيد ، كردستان سالم (الدكتورة) اثر التعددية الاثنية على الوحدة الوطنية في العراق ، السليمانية ، ، منشورات مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية ، ط١، ٢٠٠٨.

٤- ألسعيدي ، طارق خليل ، مقارنة الأديان ،دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية ، اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام، بيروت ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، ط١، ٢٠٠٥.

٥- السوداني ، صادق حسن ، مختصر تاريخ يهود العراق (١٩١٤ـ ١٩٥٢) ، بغداد مؤسسة ثائر العصامي ، ط٣، ٢٠١٨.

٦- سوسة ، احمد ، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، بغداد ، وزارة الإعلام، دائرة العلاقات العامة ،ط١، ١٩٧٩.

٧- شلبي ، احمد ، مقارنة الأديان ، اليهودية ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ط١٢، ١٩٩٧.

٨- شعبان، عبد الحسين ، المسيحيون ملح العرب ، التغير والمواطنة والتنوع الثقافي ، بيروت ، دار ضفاف ، ط١،٢٠١٣.

٩- الصفار ، حسن بن موسى، الحوار والانفتاح على الآخر، النجف ، دار العرفان ، ط٢، ٢٠٠٦.

١٠- عبد الحميد، صائب (الدكتور)، في مقارنة الأديان ، نظرة سريعة في التوراةوالإنجيل والقران ،قم مركز إصدارات الرسالة ، ط١، ١٤٢٥.

١١- عبد الخالق ، احمد عمار عبد الجليل(الدكتور) علم مقارنة الأديان وأثره في الدعوة الى الله تعالى ، عمان ، دار آمنه للنشر ، ط١، ٢٠١٦.

١٢- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٢، ١٩٩٣.

١٣- العلي ، صالح احمد ، (الدكتور) محاضرات في تاريخ العرب ، الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل، ط١، ١٩٥٤.

١٤- كاكهة هي، هدى علي ، الصلات الحضارية بين الفكر المسيحي والفكر الاسلامي ، من القرن الثالث حتى القرن التاسع الميلادي ، بغداد ، دار ومكتبة عدنان ، ط١،٢٠١٥

١٥- الوردي ، علي ، (الدكتور)شخصية الفرد العراقي ، بغداد ، دار الوراق ، ط٢، ٢٠٠٩

١٦- موروني، مايكل ج، العراق بعد الفتح الإسلامي ، ترجمة حيدر عبد الواحد راشد ، بغداد ، دار الرافدين ط١، ٢٠١٩.